الترجمة والاستعارة

استعارات الترجمة وترجمة الاستعارات

إبراهيم أسيكار

مقدمة

تعتبر الترجمة والاستعارة ظاهرتين معرفيتين ولغويتين متميزتين داخل النشاط التواصلي الإنساني، وذلك بالنظر إلى توسّل الإنسان بهما في إنتاج المعرفة أو تبادلها. لهذا كانت العلاقة بين هاتين الظاهرتين علاقة وطيدة تتمثل في قيامهما على مفهومي النقل Transfer والتحويل Transformation؛ إضافة إلى إثارة الاستعارة قضايا متنوعة داخل نظرية الترجمة مثل قضية الإمكان والاستحالة، وقضية الأمانة، وقضية التعدد، وقضية علاقة الترجمة بالإبداع؛ ثم استناد تعاريف الترجمة على استعارات كثيرة كلما أعوز المنظّرين إعطاء تعاريف دقيقة لماهية الترجمة. وترتبط الاستعارة والترجمة أيضا بالتأويل الذي يتوقف عليه توليد المعنى الاستعاري، وتشييد المترجمين للمنظور العام للمعاني العميقة الكامنة في الأعمال اللغوية المترجَمة.

سنحاول في ضوء ما تقدم أن نثير موضوع الترجمة والاستعارة، وذلك من خلال الوقوف على بعض التقاطعات القائمة بين الترجمة والاستعارة، وأثر التفكير الاستعاري في التناول النظري للترجمة، إضافة إلى تعّرف مصاعب ترجمة الاستعارة في ضوء الجهد التُرجمي لبعض المترجمين العرب الذين عرضوا لترجمة الاستعارة في نماذج من أعمالهم. ومن شأن هذه المحاولة أن تكشف الوضع الخاص لعلاقة الترجمة بالاستعارة سواء في المستوى النظري أو التطبيقي، وذلك بحكم انسلال الاستعارة إلى كثير من تعاريف الترجمة، وما يفرضه المعنى

االاستعاري على المترجمين من إكراهات كثيرة يعكسها ما في ترجماتهم للاستعارة من تباينات مفهومية ولغوية وشكلية تقتضي وعيا ومِراسا تُرجميين خاصين.

1 الترجمة والاستعارة : لامِريَة في أن الاستعارة والترجمة هما أداتان معرفيتان بامتياز، ذلك أنه بالاستعارة يسمي الإنسان ما لم تستطع اللغة تسميته، كما يُعرب بها عن أفكاره على نحو إمتاعي وإقناعي. إنها ظاهرة قديمة قِدم التواصل البشري، لأنها تلازم اللغة التي يستعملها الأفراد بدرجات متفاوتة في التواصل منذ صغرهم ويلجأون في فهمها إلى التأويل. لهذا لم يبالغ الفيلسوف أرسطو Aristote حين أشاد بالاستعارة واعتبرها موهبة إنسانية لدى حديثه عن أساليب اللغة قائلا: "ولكن أعظم هذه الأساليب، حقا، هو أسلوب الاستعارة، فإن هذا الأسلوب وحده هو الذي لا يمكن أن يستفيده المرء من غيره، وهو آية الموهبة"(1).

وتبقى الترجمة هي الأخرى معطى معرفيا وتأويليا أسياسيا، لأنها تعيد بناء معاني لغة سابقة بواسطة لغة لاحقة، ولأن الفهم الذي هو دَيدَن كل تواصل إنساني هو في العمق ترجمة ذهنية للأفكار في المستوى الذهني. وهذا ما يجعل كل فهم ترجمة بالضرورة، أي تأويلا خاصا يفرض على المترجم الاستئناس بذخيرة معرفية واسعة تمتح من مرجعيات علمية متنوعة كاللسانيات والتداوليات والدراسات المعجمية والنصية والثقافية، وكل ما من شأنه أن يساعد المترجِم على بناء معاني النص المترجَم انطلاقا من استيعاب مختلف عناصره، بدءا من هيئته النصية العامة، ثم اشتغاله الجملي، وانتهاء بنوعية كلماته. وتتمثل مستويات البناء التأويلي للمعنى المترجَم- حسب ما يرى أحمد كروم- في بداية المترجِم بـــ "القراءة العميقة للنص المراد ترجمته، الشيء الذي يسمح له بأن يتعرّف على مستويات المعنى، منطلقا من المعنى الأقل عمقا إلى المعنى الأعمق منه، قصد الوصول إلى المعنى الدقيق، وهذا النوع من الممارسة في عمل المترجم يعتبر معقدا بالنسبة إلى قدر الموضوعية التي يسعى إلى تحصيلها"(2).

والترجمة هي الأخرى، مثل الاستعارة التي تميز كل اللغات الطبيعية، ظاهرة تواصلية إنسانية قديمة تعاطاها الناس على نحو تلقائي لتعزيز هوياتهم وتلاحمهم الاجتماعي. وعبّر بول ريكور عن هذا الاستعمال التلقائي المبكّر للترجمة بالقول: "الترجمة موجودة، ولقد ترجمنا دائما: وكان هناك دائما تجار ورحالة وسفراء وجواسيس لتلبية حاجات التبادلات بين الناس بعيدا عن

التجمّع اللغوي الذي هو إحدى التركيبات الأساسية للتلاحم الاجتماعي وهوية المجموعة"(3). وبهذا المعنى فإن للترجمة امتدادا زمنيا واستعمالات متنوعة بدأت منذ وعي الأفراد بذواتهم ورغبتهم في الوعي بغيرهم ممن لهم لغات أخرى. وهذا ما أصبح اليوم عائقا أمام أي محاولة تروم وضع تاريخ عِلمي للترجمة، ولهذا شدد يوسف سلامة على أنه "لو شاء المرء أن يكتب تاريخا للترجمة لما كان تحقيق هذا الأمر شيئا ميسورا، ذلك لأن تاريخ الترجمة هو بمعنى ما تاريخ الإنسانية ذاتها"(4).

وموازاة مع انتقال الاستعارة من ظاهرة موجودة بالقوة في ثنايا كل اللغات الطبيعية إلى مبحث عِلمي كان للبلاغة قصب السبق إلى تأطيره قبل أن ينشغل به مختلف العلوم الإنسانية المعنية بالتواصل الإنساني، استطاعت الترجمة أن تتحول إلى مبحث علمي بيني Interdisciplinaire، فأصبحت مبحثا علميا مطلوبا جدا عرف كيف يستفيد من مجموع التطورات التي عرفها بعض العلوم المعنية بالظاهرة اللغوية في مستويي الإنتاج والتداول، وخاصة اللسانيات والتداوليات والذكاء الاصطناعي. وهذا ما ساعد منظري الترجمة والمترجمين على الارتقاء بعِلمهم انطلاقا من تحديد أنواعه وطرائقه الأساسية. ولا أدل على هذا التحول من ملاحظة جورج مونان George Mounin أنه "كثُر العمل فجأة في مجال الترجمة منذ 1949 لدى علماء اللغة هذه المرة ولكن بطريقة مختلفة، لأن المناقشات القديمة التي لم تجد حلا، والتي تغذت من خبرة وممارسة المترجمين، لاتزال قائمة و لم تختف"(5). ولعل أبرز اللغويين المعاصرين الذين دشنوا إثارة القضايا اللسانية للترجمة هو رومان جاكبسون Roman Jakobson الذي خصّ هذا الموضوع بفصل مستقل ضمن كتابه "مقالات في اللسانيات العامة"، وفيه أشار إلى أنه "بالنسبة للساني، مثلما هو الشأن بالنسبة للاستعمال العادي للغة، معنى كلمة ما ليس شيئا آخر غير ترجمته بعلامة يمكن أن تستبدله بعلامة أخرى"(6). كما ميّز بين ثلاثة أنواع كبرى من الترجمة هي(7):

–الترجمة داخل اللغة La traduction intralinguale وهي التي تركز على تأويل العلامات اللغوية بواسطة علامات لغوية أخرى من اللغة نفسها.

–الترجمة بين اللغات المختلفة La traduction interlinguale وهي الترجمة الحقيقية، وتركز على تأويل العلامات اللغوية بواسطة علامات لغة أخرى.

–الترجمة بين أنساق العلامات La traduction intersémiotique وهي الترجمة التي تركز على تأويل العلامات اللغوية من طريق نسق علامات غير لغوية.

ومن الناحية المفهومية تتفق الاستعارة والترجمة في إفادة معان مخصوصة مثل النقل والتحويل، وهما المعنيان اللذان ينطوي عليهما المعنى اللغوي والاصطلاحي للاستعارة في اللغة العربية. فمن الناحية اللغوية نجد عند ابن منظور (ت.711هـ) "استعار فلان سَهما من كنانته، رفعه و**حوّله** منها إلى يده"(8). وفي الاصطلاح البلاغي أكد أبو هلال العسكري (ت.395هـ) أن الاستعارة هي: "**نقلُ** العبارةِ عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض"(9). أما في اللغات الأجنبية فتبدو ظلال معنيي التحويل والنقل في مفهوم الترجمة من خلال إشارة أمبرتو إيكو Umberto Eco إلى أنه "في اللغة اللاتينية يظهر اللفظ Translatio مبدئيا بمعنى "تغيير" ولكن أيضا بمعنى "نقل"(10). وفي الاصطلاح الفلسفي، أكد جاك ديريدا Jacques Derrida في إطار فلسفته التفكيكية التي تعارض مبدأ التطابق في الترجمة وتلح، بدله، على مبدأ الاختلاف، أن أساس الترجمة هو التحويل، أي "تحويل لغة إلى أخرى، ونص إلى آخر"(11).

2–استعارات الترجمة : لا تقتصر العلاقة بين الترجمة والاستعارة على قِدمهما أو تقاطعهما الدلالي فحسب، وإنما يلاحظ الباحث أن في الدراسات النظرية حول الترجمة استعارات قائمة على مشابهات واضحة. ويرجع هذا الحضور الاستعاري في تعريف الترجمة إلى عجز اللغة النظرية الواصفة عن الضبط الدقيق والصريح لحدّ الترجمة. وتلك خاصية تلتقي فيها الترجمة مع كثير من العلوم التي تتميز لغتها بطابع استعاري مهما نأت عن نسبية المجاز بالصرامة المنطقية والتجريبية. وترجع هذه الظاهرة، أساسا، إلى صعوبة تحديد المجردات أو كل ما لم يحظ بعدُ في اللغة باسم خاص.

وهكذا تغدو الاستعارة في تعاريف الترجمة واللغة العلمية بمثابة المخلِّص الذي يتم التوسّل به كلما تقشفت اللغة في تمكين مُنظّر الترجمة أو الباحث العلمي من تعريف ناجع للترجمة أو الظاهرة العلمية. وقد انتبه محمد الولي إلى هذا المعطى حين أراد تفسير مفارقة ازدراء العلوم الدقيقة للاستعارة بسبب طابعها الخيالي واحتفائها بها في لغتها الواصفة، قائلا:" والحق أن العلوم

التجريبية تضطر في كل حين إلى التزوّد بهذه الاستعارات لمجرد وضع اليد على الظواهر التي لا تقع تحت الحواس، ولذلك فهي تفزع إلى الاستعارة لإنقاذها من المأزق"(12).

وبصرف النظر عن استعارة "الخائنات الجميلات" Les belles infidèles المتداولة كثيرا في مجال الترجمة منذ أن أطلقها الشاعر السوفياتي يفغيني يفتوشنكو Evgueni Evtouchenko وفتح بها أفقا أخلاقيا ارتبطت فيه ترجمة الشعر، بوجه خاص، بفكرتي الأمانة Fidélité والخيانة Trahison، يجد الدارس عددا لا بأس به من الاستعارات التي صاغها أصحابها من أجل تعريف الترجمة، وفي هذا ما يعزز فكرة كون الترجمة في الغرب، بشكل خاص، هي حصيلة تحديدات استعارية عامة تتراوح غاياتها بين الجد والهزل. ويُرجع أنطوان برمان Antoine Berman هذا الاطراد في تعريف الترجمة بالاستعارة إلى أنه "بقدر ما تقل التحديدات المفهومية للترجمة وتكرر نفسها، نجد بأن التحديدات الاستعارية متكاثرة"(13).

لقد حصر أنطوان بيرمان ما يقرب من سبع استعارات منها ما يهمّ الترجمة ذاتها سواء في طبيعتها أو مفعولها أو إمكانها أو استحالتها، ومنها ما يهمّ المترجمين في وثوقيتهم أو عُرضتهم للسخرية. أنموذج الاستعارة الذي يعكس ترجّح الترجمة بين الإمكان والاستحالة ما نقله مونتسكيو Montesquieu من حوار بين مُترجِم وعالِم رياضي جاء فيه: "إنني أتيتكم ببشارة، فقد قدّمتُ هوراس Horace إلى الجمهور وتساءل عالِم رياضي: كيف ذلك؟ لقد كان موجودا منذ ألفي سنة. فردّ الآخر: إنكم لم تفهموني، فأنا قمتُ بترجمة هذا الكتاب القديم وتطلب مني هذا العمل عشرين سنة. فقال الرياضي...إن الترجمات تشبه النقود النحاسية التي يبدو أن لها نفس قيمة قطعة نقدية ذهبية، وتستعمل بكثرة من طرف الشعب، لكنها تظل مع ذلك من النوع الضعيف والرديء. لقد أردتم على حد تعبيركم إحياء هؤلاء الأموات العظماء من جديد، وأنا أعترف بأنكم قد منحتموهم جسدا، لكنكم لم ترجعوهم إلى الحياة، لأنهم يفتقدون إلى الروح التي ستحركهم، ألم يكن من الأفضل لكم أن تنشغلوا بالبحث عن الحقائق الجميلة التي يسمح لنا الحساب السهل باكتشافها يوما"(14). يبدو هذا الحوار الذي هو بمثابة استعارة ممتدة نصا حجاجيا يكشف عن مفهومين وثوقيين مختلفين للترجمة، فهم وثوقي اعتقادي يقرّ بإمكانية الترجمة، ويتبناه مُترجِم مُدعٍ يتصور أن الترجمة هي الممارسة العلمية التي تقتضي جهدا جهيدا،

وتضمن الوفاء والتطابق بين الترجمات وأصولها. وفهم وثوقي تشكيكي يرتاب من إمكانية الترجمة، وهو لعالِم رياضي وَضعيّ مُعترِض تقوم حججه على تعارضات من قبيل: النفيس ≠ الوضيع، والحي ≠ الميت، وذلك من أجل إقناع المترجم المدّعي باستحالة الترجمة التي ليست سوى عمل زائف وشكلي ينأى عن تناول الحقائق العلمية لجديرة بالبحث والمـُدارسة.

أما أنموذج الاستعارة الذي يسخر من المترجمين انطلاقا من لَزهم بممارسة العنف على اللغات حين إنطاق بعضها بمعاني بعض آخر مهما كان الاختلاف بينها، فنلحظه في قول أندري جيد André Gide: "أقارن المترجم بالمروّض أو السائس الذي يدعي حمل حصانه على القيام بحركات لا تتلاءم وطبيعته"(15). إن تأمل هذا القول يكشف عن وجود مشابهة بين المترجم والمرّوض والسائس، وهي المشابهة التي تضمر موقفا مناوئا يرمي إلى الإزراء بالمترجمين انطلاقا من استصغار جهدهم وتبخيسه. ذلك أن المدار المعجمي لكلمتي "المروّض" و"السائس" ينفتح على معان قدحية ترتبط بمخاتلة الغير أو حمله بنوع من الإكراه على إتيان أفعال أو سلوكات لا يقبلها لأنها ليست أصلية فيه. من هنا يبدو كل ترجمة في ضوء مفهوم استعارة أندري جيد احتيالا على النصوص المترجمة واستغفالا لها من أجل أن تتكلم لغات أخرى قد لا تتلاءم معها لأنها تُفقدها بعضا من خصائصها المميزة فتصبح مشوهة وناقصة. ذلك أن العلاقة بين اللغات ليست، دائما، علاقة وئام وتراض بل هي علاقة محكومة بالصراع والتنابذ القائمين على رفض الخضوع والامتثال، ولهذا الاعتبار أكد الجاحظ (ت.255هـ) منذ وقت مبكّر في معرض حديثه عن المترجم أنه "متى وجدناه أيضا قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما، لأن كل واحدة من اللغتين تجدب الأخرى، وتأخذ منها وتعترض عليها"(16).

3–ترجمة الاستعارة: يؤكد أغلب المترجمين ومنظري الترجمة وجود عراقيل دلالية وأسلوبية كثيرة تصعّب مهمة ترجمة الاستعارة المفردة أو تلك التي ترد ضمن عمل لغوي ما، وذلك بسبب القيود اللسانية والثقافية الخاصة المميزة لاستعمال الاستعارة بشكل عام. ولربما لهذا الاعتبار كان للاستعارة وضع خاص داخل معظم الحقول المعرفية المعنية بدراسة اللغة، حيث تحدث اللسانيون والتداوليون والسيميائيون، كل من منطلق اهتمامه، عن نحو الاستعارة وتداوليتها وسيميائيتها. وتتعمق هذه الخصوصية بتفرّد بعض اللغات والثقافات باستعارات ذات

حمولة معرفية ونفسية وثقافية وقيميّة خاصة لا تتضمنها استعارات اللغات والثقافات الأخرى، وهذا ما يسوغ عمليات التكييف أو الإبداع التي يلجأ إليها بعض مترجمي الاستعارات لتجاوز التباينات الثقافية بين الاستعارات التي يعجزون عن فهمها أو يفتقرون إلى ما يؤدي معناها في اللغات المترجم إليها. وسيبقى هذا العجز واردا لدى مترجمي الاستعارات، ما لم يحصل تقارب وانفتاح بين الثقافات الإنسانية، لأنه ـــ حسب ما يرى لويس كوردونيي Luis Cordonnier ـــ "بقدرما تتعزز العلاقات بين الثقافات تتراجع عوائق الترجمة"(17).

ولئن كان الاهتمام بقضايا ترجمة الاستعارة محدودا في الدراسات العربية الحديثة، هذا على الرغم مما تثيره ترجمة الاستعارات العربية من قضايا عميقة بسبب طبيعتها اللغوية الخاصة وخلفياتها الاجتماعية والثقافية المخصوصة، فإن لدى الدارسين الغربيين المعاصرين اهتماما خاصا بهذه القضايا، وذلك انطلاقا من تصديهم لأسئلة جوهرية من قبيل: هل الاستعارة قابلة للترجمة أم لا؟ ما هي المعايير الناجعة لترجمة الاستعارة؟ ما أنماط الترجمة الممكنة للاستعارة؟ متى يحق للمترجم أن يترجم الاستعارة ترجمة حرفية أو إبداعية.

يأتي مناحيم داجوت Menachem Dagut في مقدمة الباحثين الغربيين الذين استوقفتهم معضلة ترجمة الاستعارة، حيث نشر في العدد 22 من مجلة بابل سنة 1976 دراسة بعنوان "هل يمكن ترجمة الاستعارة؟" ? Can métaphor be translated، وأكد تعذر ترجمة الاستعارات ذات الخاصية الثقافية، وذلك لصعوبة الحفاظ على مفعولها الثقافي بإعادة صياغتها أو شرحها أو نقلها كلمة كلمة(18). أما يوجين نيدا Eugene Nida فقد ركز في ترجمة الاستعارة على ما يسميه "التعابير خارجية التمركز الدلالي" Semantically exocentric expression، واقترح في ضوء هذا المبدأ أربع صور لترجمة الاستعارة وهي(19):

–ترجمة الاستعارة إلى استعارة. مثال هذا النوع من الترجمة: لغة "لوما" في غينيا الجديدة التي لا يمكن للمرء أن يقول فيها: "يَدٌ ذابِلةٌ" بل "يدٌ مَيّتةٌ".

–ترجمة الاستعارة إلى تشبيه. مثال هذا النوع من الترجمة: استعاضتنا عن استعارة "جوعى للتقوى" بالتشبيه "كالجوعى للتقوى".

-ترجمة الاستعارة إلى لا استعارة. ويتم اللجوء إلى هذا النوع من الترجمة ما لم يكن هناك مقابل للاستعارة المترجَمة في اللغة الهدف. ومثال ذلك: أهل لغة "الزوك" في المكسيك الذين لا يعرفون معنى "الأعمدة". ومن ثم فإن إفهامهم استعارة "أعمدة المجتمع" يقتضي ترجمة الاستعارة بالعبارة العادية "رؤساء المجتمع".

-ترجمة لا استعارة إلى استعارة. مثال هذا النوع من الترجمة هو ضرورة ترجمة عبارة "الخسوف" لهنود "موسكيتو" باستعارة "أَمْسَكَ القَمَرُ بِحَماتِه"، التي اعتادوا التعبير بها عن ظاهرة الخسوف.

وقدّم بيتر نيومارك Peter Newmark تصنيفا لأنواع مختلفة من الاستعارات، وما يثيره كل واحد منها من مصاعب للمترجمين. كالاستعارة المندثرة، والاستعارة المبتذلة، والاستعارة المتداولة، والاستعارة الحديثة، والاستعارة الأصلية. واقترح نيومارك سبعة أساليب لترجمة الاستعارة وهي(20):

-ترجمة الاستعارة ترجمة حرفية، أي نقلها من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف كما هي، شريطة أن يكون معناها مألوفا لدى قارئ اللغة الهدف.

-ترجمة الاستعارة بمكافئ، أي تعويضها في اللغة الهدف باستعارة معيارية تؤدي معناها في اللغة المصدر.

-ترجمة الاستعارة بتشبيه مع إضافة تفسير، وهذا في حالة ما إذا كانت الاستعارة غامضة وشك المترجِم في وضوحها.

-ترجمة الاستعارة بتحويلها إلى معنى بسيط، وذلك بتملّك جميع ظلالها المعنوية.

-ترجمة الاستعارة ترجمة حرفية مع إضافة تفسير يوضحها.

-حذف الاستعارة بعدم ترجمتها.

إنّ في ما تقدّم من الآراء حول ترجمة الاستعارة، ما يبرز عدم إجماع الدارسين على سبل منهجية خاصة بترجمة الاستعارة. وضمن هذه الآراء المختلفة يمكن أن نلحظ وجود توجهين اثنين أساسيين، التوجه الأول يؤكد صعوبة ترجمة الاستعارة مهما كان الأسلوب المعتمد من لدن المترجم، وذلك بسبب كون الاستعارة ظاهرة ثقافية تعسر الإحاطة بخلفياتها المعرفية

والنفسية والاجتماعية التي تتفاوت من ثقافة إلى أخرى. وفي هذا ما يؤكد أن ترجمة استعارة أو نص ما بصفة عامة "معناه الانتقال به من كون ثقافي إلى كون آخر، وليس فقط من لغة إلى أخرى"(21). التوجه الثاني يقرّ بإمكانية ترجمة الاستعارة مثلها مثل أي تحقق لغوي له امتدادات في بنية اللغة الطبيعية، ولهذا اقترح أصحاب هذا التوجه إمكانات متنوعة ورحبة تساعد المترجمين على نقل الاستعارات من لغة إلى أخرى مهما تباينت شروطها الثقافية.

وللوقوف على نماذج من إمكانات ترجمة الاستعارة إلى اللغة العربية، سنحاول مُدارسة ما في الفصل الخامس من كتاب "التأويل بين السيميائيات والتفكيكية"(22) من استعارات بسيطة مُترجَمة من اللغة الإيطالية إلى اللغة الفرنسية أولا، ثم من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ثانيا، وهو الفصل الثالث من كتاب "حدود التأويل" Les limites de l'interprétation (23) لأمبرتو إيكو. واخترنا هذا الفصل لكون ما يتضمنه من استعارات قد حظي بثلاث ترجمات من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، أنجزها كل من سعيد بنكراد في ترجمته كتاب "التأويل بين السيميائيات والتفكيكية"، والحسن بوتكلاي في ترجمةٍ نشرها في مجلة "فكر ونقد" المغربية(24)، وأحمد الصمعي في ترجمته كتاب "السميائية وفلسفة اللغة" لأمبيرتو إيكو "(25) لأمبرتو إيكو.

–الاستعارة الأولى: هي " Le pied de la table "(26) وهي التي أوردها أمبرتو إيكو لتأكيد أن موت الاستعارة يهم تاريخها السوسيو لساني دون بنيتها السميوزية والتأويلية. وهذه الاستعارة هي من نوع الاستعارات المندثرة والمبتذلة بتعبير بيتر نيومارك، وقد ترجمها سعيد بنكراد بـــ "قَدَم الطاولة"، فيما ترجمها الحسن بوتكلاي بـــ "رِجل الطاولة". ولا يوجد فرق كبير بين هاتين الترجمتين، على الرغم من اختلافهما في ترجمة كلمة Pied الفرنسية. لأنهما جاءتا ترجمتين حرفيتين لابد أن توحيا إلى القارئ في اللغتين المصدر والهدف بالمعنى نفسه، وذلك بحكم تراجع استعاريّة هذه الاستعارة في اللغتين الفرنسية والعربية نتيجة كثرة تداولها.

–الاستعارة الثانية: هي "La rose s'évanuit"(27)، وهي من نوع الاستعارات الحديثة حسب تعبير بيتر نيومارك أيضا، لأن فيها إسناد شيء جديد بالنسبة للزهر، وهو هنا صفة الإغماء التي هي في الأصل للإنسان غالبا. وقد استدل أمبرتو إيكو بهذه الاستعارة على أن تأويل بعض

الاستعارات لا يمكن أن يكون إلا استعاريا، لأن مجرد تأويلها تأويلا حرفيا سيجعلها تعبيرا شاذا دلاليا. أما بالنسبة لترجمة هذه الاستعارة، فالمفارقة كامنة في الاختلاف الكبير بين سعيد بنكراد والحسن بوتكلاي، فقد ترجمها الأولـــ "أغمي على الزهرة"، وهي ترجمة حرفية حافظت للاستعارة على بعدها الإيحائي، وذلك بإسناد الفعل "أغمي" ذي سمة [+إنسان] إلى فاعل "الزهرة" ذي سمة [+جماد]. أما الحسن بوتكلاي فقد ترجم الاستعارة نفسها بـــ "تتفتّح الزهرة"، وهو ما أفقدها شيئا من استعاريّتها وإيحائيّتها، فتحولت إلى تعبير شبه قاموسي واضح بلا مفعول جمالي، لأن المترجم حافظ للفعل "تتفتّح" على السمات الذاتية والانتقائية التي يقتضيها فاعله "الزهرة".

–الاستعارة الثالثة: هي استعارة ممتدة، جاءت ضمن أبيات قصيدة "المقبرة البحرية" Cimetière marin للشاعر الفرنسي بول فاليري Paul Valéry ، وفيها يقول (28):

Ce toit tranquille, où marchent des colombes,
Entre les pins palpite, entre les tombes;
Midi le juste y compose de feux
La mer, la mer, toujours recommencée!

أورد أمبرتو إيكو هذه الاستعارة للبرهنة على أثر السياق في تأويل الاستعارات التي تبدو، أوليا، تعابير حرفية، ذلك أن استعاريّة استعارة الأبيات الشعرية السابقة، لن تبدأ إلا مع إشارة الشاعر بول فاليري إلى ارتجاف السطح الهادئ، وتكرار كلمة البحر مرتين. وهو ما سيدل على أن هذا السطح هو البحر، فيما الحمامات هي أشرعة البواخر.

لقد ترجم سعيد بنكراد استعارة الأبيات الشعرية السابقة بقوله:

وذلك السطح اللازوردي الهادئ
الذي تمشي فوقه الحمائم
يرتجف بين أشجار الصنوبر والقبور
البحر، البحر، ودائما هو البحر.

أما الحسن بوتكلاي فقد ترجمها قائلا:

هذا السطح الهادئ حيث تمشي اليمامات

بين الصنابر يرتجف بين القبور
يكون في الظهيرة لهيبا
البحر، البحر، دائما يتجدّد.

إن أدنى مقارنة بين الترجمتين السابقتين، ستكشف عن استعصاء الاستعارة عن امتلاك ترجمتين متماثلتين داخل اللغة الواحدة، ناهيك عن صعوبة ترجمة استعارات الشعر الذي تسلبه الترجمة "كثيرا من مزاياه، لأن القصيدة ليست بناء من الكلمات والتراكيب وحسب، وإنما هي ظلال اللغة بكلماتها وتراكيبها وموسيقاها التي تعتبر أجزاء عضوية في بنية القصيدة"(29).

لقد جاءت كلتا الترجمتين وفق طريقة ترجمة الاستعارة إلى استعارة بتعبير يوجين نيدا، لكنهما تختلفان من حيث اعتماد سعيد بنكراد على ترجمة معنوية وحرة نسبيا مدعومة بتفسير في البيت الأول، بإضافة كلمة "اللازوردي" التي لم يذكرها الشاعر بول فاليري في بيته الأول، كما تصرّف في شكل الأبيات الشعرية، بتقسيم البيت الأول إلى بيتين، إضافة إلى تغييبه جزءا من الاستعارة في البيت الثالث، حيث تجاوز هذا البيتَ بكامله، ربما لأنه يبدو، في نظره، زائدا وغير مفيد، وفي ذلك ما يطابق الأسلوب السابع لترجمة الاستعارة لدى بيتر نيومارك، الذي يجيز حذف الاستعارة بعدم ترجمتها متى بدا أنها زائدة في الكلام وليست مفيدة. كما حرص سعيد بكراد على إكساب الأبيات المترجمة نبرة موسيقية مصدرها تكرار روي "الراء" في كلمات "قبور" و"بحار". ولعل الغاية من هذا التنغيم وهذه الإضافات والحذوف، هي حُسن تبيئة المعنى الاستعاري في اللغة الهدف لإمتاع القارئ وإقناعه. وفي هذا اعتراف من المترجم بأن ترجمة الاستعارات الشعرية تقتضي الجرأة والإبداع، لأن "كل لغة من اللغات لها عبقريتها الخاصة، وذلك فيما يختص بطرق ترتيب الكلمات، وربط الجمل، واستخدام ألوان معينة من المحسنات والمعجم الذي يتناسب مع أفهام المتحدثين بتلك اللغة"(30).

أما ترجمة الحسن بوتكلاي فقد جاءت شبه حرفية، لأنها تابعة للأصل أكثر من اللازم، حيث التزمت بعدد الأبيات كما هي في اللغة المصدر، هذا مع الحرص على المقابلة بين كل كلمة في اللغة المصدر وما يطابقها في اللغة الهدف. وفي ذلك ما يعكس أولوية المعنى المفهومي والطابع الغيري للمعنى لدى هذا المترجم على حساب الشكل الشعري والجرس الموسيقي. ولكن

هل يعني الرهان على الشكل الشعري والألفاظ المتكافئة والخصوصية الغيرية للمعنى في الاستعارات الشعرية تكافؤا معنويا وإيحائيا؟ كلا، لأن ترجمة المعنى الاستعاري في الشعر هو إجراء تأويلات مسبقة وخاصة انطلاقا من إعادة صياغة بعض الجوانب التركيبية والمعجمية للتعبير الاستعاري من أجل ضمان إيحائية المعنى الشعري وأثره. وفي ذلك ما لا يضمن التطابق بين التعبير الاستعاري المصدر ونظيره الهدف، لأن البحث عن التطابق هو قهر لعبقرية اللغات الهدف، وإجهاض للإخصاب المحتمل لها بواسطة معاني اللغات المصدر. إذ بإمكان الترجمة –حسب ما يرى أنطوان برمان – "الإسهام في إغناء النص الأصلي وتجديد منطوقه"(31)

–الاستعارة الرابعة: هذه الاستعارة لشاعر "نشيد الأناشيد" Le cantique des cantiques وهو يتغزل بشابة سمراء ترعى الغنم على هضاب فلسطين:

"Tes dents, un troupeau de brebis à tondre qui remontent du bain" (32)

وقد استوقف تأويل هذه الاستعارة أمبرتو إيكو في مؤلفين هما: "حدود التأويل" و"السيميائية وفلسفة اللغة"(33). وانتهى إلى أن تأويل هذه الاستعارة يرتبط بالمضمون والموسوعة أكثر من المرجع. ذلك أن علاقة الأسنان الجميلة بالنعاج المـُستحِمة لا تتضح إلا من خلال دلالة بياض النعاج على الجمال في النسق الثقافي الذي يصدر عنه شاعر "نشيد الأناشيد" خلال العصور القديمة.

حظيت الاستعارة السابقة في اللغة العربية بثلاث ترجمات، الأولى لسعيد بنكراد وهي: "إن أسنانك شبيهة بقطيع غنم عائد من الحمام"، والثانية للحسن بوتكلاي وهي: "أسنانك كقطيع غنم عائد من الحمام"، والثالثة لأحمد الصمعي وهي: " أسنانك كقطيع نعاج صاعدة من الغُسل".

إن ملاحظة الترجمات الثلاث السابقة يكشف عن إجماع أصحابها على الحفاظ لهذه الاستعارة على صورتها التشبيهية، وفي هذا ما يوافق الصورة الثانية لترجمة الاستعارة لدى يوجين نيدا، الذي اقترح إمكانية ترجمة الاستعارة إلى تشبيه. هذا على الرغم من اختلاف هؤلاء المترجمين الثلاثة في أداة التشبيه المعتمدة، فقد فضّل سعيد بنكراد الصيغة المصدرية "شبيهة"، فيما آثر المترجمان الآخران الصيغة الحرفية "الكاف". كما اختلفوا، جميعا، في مقابِلات بعض

الكلمات في اللغة المصدر كـــ Les brebis التي ترجمها سعيد بنكراد والحسن بوتكلاي بكلمة "غنم" التي تطلق على ذكور وإناث الشاءِ عموما، وترجمها أحمد الصمعي بكلمة "نعاج" التي تبدو مناسبة للسياق الغزلي لأن "العرب تكني بالنعجة والشاة عن المرأة"(33). واختلف هؤلاء المترجمون أيضا في مقابل الكلمة الفرنسية Remontent، حيث ترجمها المترجمان الأولان بكلمة "عائد" التي توحي بنوع من التلقائية التي تجعلها مناسبة للمنظر الجمالي الذي تصوره الاستعارة، مقارنة بكلمة "صاعدة" التي اقترحها أحمد الصمعي بالرغم مما ينطوي عليه معنى الصعود من دلالة تجشّم المشقة. ويحضر الاختلاف بين هؤلاء المترجمين، كذلك، في ترجمة الكلمة الفرنسية le bain التي ترجمها سعيد بنكراد والحسن بوتكلاي بكلمة " الحمام" وترجمها أحمد الصمعي بكلمة "الغُسل"، وهما ترجمتان متقاربتان لما تقتضيه كلمتا "الحمّام" و"الغُسل" من معاني الاستحمام بالماء الذي يلزم عنه الرونق والنعومة والنضارة.

وأيّا كان الاختلاف بين هذه الترجمات الثلاث على مستوى الصيغ اللغوية المعتمدة وذلك بسبب تفاوت الرصيد اللغوي لأصحابها، وتباين أذواقهم الفنية، فإن المعنى الاستعاري المترجَم من لدن هؤلاء المترجمين ظل معنى موحيا بالحسن والجمال في اللغة الهدف أيضا. ذلك أن للنعجة في النسق الثقافي العربي دلالات أنثوية لعل أوضحها ما جاء في قوله تعالى (إنَّ هَذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الخِطابِ)(34)، وهي الآية التي فسرها الزمخشري (ت.538) بالقول: "الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة، كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله:

يَا شَاةُ ما قَنَصٌ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حُرِّمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَها لَم تُحَرَّمِ"(35).

خاتمة

تلك إذن بعض القضايا التي تثيرها الترجمة والاستعارة في ضوء استقرائنا لجوانب من ماهيتهما وتقاطعاتهما وأهميتهما. ولسنا نرتاب من أن ما عرضنا له هو مجرد محاولة تروم لفت الانتباه إلى الموضوع المدروس أكثر من الإحاطة الشاملة به في جانبيه النظري والتطبيقي. ذلك أننا ندرك الوضع الاستثنائي للمعنى الاستعاري في التواصل الإنساني عموما ودرس الترجمة على وجه الخصوص، لأنه من فصيلة المعاني القادرة على رتق فجوات ما لم تسمه اللغة بعد، كما أنه

من المعاني الكاذبة والبليغة في الآن نفسه، وهو كذلك من جنس المعاني التي يعسر قولها بطريقتين مختلفتين وذلك بفعل التلاحم القائم فيه بين القصود والموروثات الثقافية والاجتماعية والنفسية. وهو، أخيرا ذو سلطة يقدر بها على إرغام اللغتين المصدر والهدف على التنازل بعضهما لبعض من أجل تيسير عملية النقل والتحويل عبر جهود المترجمين الذين تُفترض فيهم سعة الرؤية، والقدرة على الإبداع من أجل إرضاء منتج هذا المعنى في اللغة المصدر ومتلقيه في اللغة الهدف.

1-أرسطو، فن الشعر، ترجمة شكري محمد عياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط.1، 1993، ص..128

2-أحمد كروم، (الترجمة والتأويل التداولي)، مجلة عالم الفكر، العدد4، المجلد41، أبريل/ يونيو، 2013، ص.216.

3- Ricoeur (P), Sur la traduction, Ed, Bayard, 3Ed, Paris, 2004, P.56-57.

4-يوسف سلامة، (ما الترجمة؟ الترجمة بين النقل والتأويل)، مجلة الآداب، العدد 5و6، 1999، ص.42.

5-جورج مونان، علوم اللغة والترجمة، ترجمة أحمد زكريا إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط.1، 2002، ص..62

6- Jakobson (Roman), Essais de linguistique générale, Les fondations du langage, Traduit de l'anglais et préfacé par Nicolas Ruwet, Ed, Minuit, Paris, 1963, P.79.

7- Ibid, P.79.

8-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.4، 2005. مادة "عير". ص..350

9-أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1981، ص.295.

10- Eco (U), Dire presque la même chose, Expériences de traduction, Ed, Grasset & Fasquelle, Paris, 2006, P.162.

11- Derrida (J), Positions, Ed, Minuit, Paris, 1972, P.31.

12-محمد الولي، (الاستعارة الحجاجية بين أرسطو وشايم بيرلمان)، مجلة فكر ونقد، الدار البيضاء، العدد 61، شتنبر 2004، ص..97

13-أنطوان برمان، الترجمة والحرف أو مقام البعد، ترجمة عز الدين الخطابي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2010، ص..65

14-أنطوان برمان، الترجمة والحرف أو مقام البعد، ص.66ــ 67.

15-نفسه، ص..67

16-الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط.1، 76/1.

17- Cordonnier (Luis), Traduction et culture, Ed, Crédif, Paris, 1995, P.56.

18-جمال بوتشاشة، نماذج من الاستعارة في القرآن وترجماتها باللغة الإنجليزية، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، الجزائر، 2005، ص..87

19-عبد الله الحراصي، (في ترجمة الاستعارة العربية)، مجلة نزوى، عدد.3، يونيو، 1995، ص..48

20-جمال بوتشاشة، نماذج من الاستعارة في القرآن وترجماتها باللغة الإنجليزية، ص..50

21-رشيد برهون، درجة الوعي في الترجمة، مكتبة سلمى الثقافية، تطوان، ط.1، 2003، ص..34

22–أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتقديم سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط.2، 2004.

23– Eco (U), Les limites de l'interprétation, Traduit de l'italien par Myrriem Bouzaher, Ed, Grasset, Paris, 1992, P.155 .

24–الحسن بوتكلاي، (التأويل والاستعارة)، مجلة فكر ونقد، العدد. 26، الدار البيضاء، 2000، ص..143

25–أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط.1، 2005.

26–Eco (u), Les limites de l'interprétation, P.152.

27–Eco (u), Les limites de l'interprétation, P.153.

28–Ibid, P.154.

29–جان الكسان، الترجمة الأدبية والتنمية الثقافية، مجلة الوحدة، ع.62/61، أكتوبر/نوفمبر، 1989، ص.105.

30–يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة، ط.1، 1410هـ، ص..93

31–أنطوان برمان، الترجمة والحرف، أو مقام البعد، ص. 19.

32– Eco (U), sémiotique et philosophie du langage, traduit de l'étalien par Myriem Bouzaher, Ed, P.U.F, Paris, 1988, P.159.

Ibid, P.159.

33–ابن منظور، لسان العرب، مادة "نعج"، ص..296

34سورة ص، الآية 23.

35–الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.5، 2009، 81/4.